سماع اصوات الناس الذين يركعون الى جانب القبر الواطىء . . .

واعتزمت ، على التو ، ان امضي الى الشيخ عبد العاطي ، ورغم انني لم افكر قط طوال عمري بتصديق مثل هذه الاشياء ، فلست أدري ما الذي حدث في تلك اللحظة بالذات . الآن استطيع ان اقول ان الامرين جاءا معا آن اكتشف نفسي ، واكتشف عبد العاطي ، ولو جاء احدهما قبل الاخر او بعده ، لمرت الامور فوق سطح ايامي مثلما انزلق الاف من الاولياء الى النسيان . ولكنهما جاءا معا ، مثل القفل والمفتاح ، كنت أهوي بصخب من ذلك الكرسي الذي قعدت عليه عشرين سنة ، وهاءنذا أرى نتوءا في جدار تلك الهوة المروعة .

وعبر عالمي الذي كان دائما يسبح صامتا في حوض ماء زجاجي ، مضيت الى قبر الولي عبد العاطي .

— ٣ —

انني امد لك يدي ، ايها الشيخ التقي الميت ، من قاع هذا الصمت (وقاع تلك العتمة) التي لا يسبر غورها ، يا حبيب الله ، المعاد الى هذه الارض ثمرة متفجرة على الخشب . اخاطبك من وراء ظهر الحواس التي يخاطب بها الانسان قدره المكتوب له . مد لي يدك يا عبد العاطي ، يا عاطي ، وانشلني من هذا الصمت (والظلام) . انني اطلب منك الشفقة ، ايها الولي ، بعد ان رفضتها سنوات لا اذكر عددها . اركع قرب طينك المبتل ، ايها الولي ، واقول : انني تعبت . اصيح بين الجدران التي لا ترى ، في عالمي المعتم (الاصم) ، واهز بكفي الاعمدة التي ترفع السماء ، حيث تجلس مخبئا اجوبتك ، وأرجوك ، اتوسل اليك ، ابكي كل الدموع التي منحتها لي ، واعتصر ايماني حتى قراره المسكين : اطلب الفكاك من اسر الصمت (والظلام) ، اسالك يا ملك الصمت (والظلام) ان ترمي صولجانك على وجهي ، وتمنحني حصتي من هذا العالم . اسالك ان تكف عن منحي للعالم امثولة على سطوة الغيب التي لا تفسر . او خذني اليك يا عبد العاطي ، علقني معك على ذلك الجذع العالي ، لنسخر معا من ذل هذا العالم المنكفىء على نفسه ، العاجز المكبل المبصوق على وجهه . اخاطبك وحدي ، وجها لوجه ، من اعماق هذه البرية المتوحشة المهجورة ، واتحداك ان تجترح معجزتك ، ان تقول لي بأن كوم الطين القديم يستطيع ان يكون اكثر جدوى من الحياة النابضة داخل صدري ، وفي عزوق كفي المشرعتين امام وجهك . اول مرة اجيء وامضي الى آخر مرة ، واذا كان ثمة في هذه الحياة من لا يستحق رؤيتها (ولا سماعها) فلتقل لي ذلك ، هنا والآن ، ايها الشيء الخرافي الذي يتدلى من السماء كخطاف . انني اعلق عليك عمري كما يعلق القميص ، واعلق عليك ايماني وكل المعاني التي تعودت ان استبدل بها الضوء (والصوت) ، وانتظر تحت سقف العتمة مثلما تنتظر انت تحت بلاطة الموت شموع المخدوعين .

— « هل قلت شيئا ؟ انني لا اسمع » .

— « لم اسمعك تأتي ، فانا رجل ضرير ، كما ترى ، جئت للولي اطلب البصر ، وما زلت انتظر » .

— « لا تتعب نفسك . انني رجل اصم ، لا اسمع ، ربما استطيع ان افهم حركة من يديك اكثر » .

فسألت : « لماذا انت هنا ؟ »

وجاء الصمت ، الذي صار علي ان اعتاده منذ هذه اللحظة ، وفجاة يصير همي وعبئي وهاجسي الفولاذية الاحكام ، ولكنه الاختبار الذي لا يخطىء ، فها نحن ذا غريبان